مجلة إكليل للدراسات الانسانية
التصنيف الورقي: العدد 25 /آذار/2026
المجلد(7)- العدد(1)-الجزء(1) IASJ–Iraqi Academic Scientific Journals

العلاقات العباسية–البلغارية في ضوء رحلة ابن فضلان

م.د. خليفه عايد عبدالله
كلية التربية للعلوم الانسانية–جامعة الموصل

أ.م.د. أنمار هادي فاضل
كلية التربية للعلوم الانسانية–جامعة الموصل

الكلمات المفتاحية: ابن فضلان، بلاد البلغار ، بحر الخزر ، نهر الفولغا

الملخص:

تتمحور إشكالية البحث الرئيسة حول استجلاء طبيعة العلاقات التاريخية بين الخلافة العباسية ومملكة بلغار الفولغا في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. ويسعى البحث إلى تبيان ما إذا كانت هذه العلاقات مجرد تواصل دبلوماسي عابر، أم أنها استراتيجية متكاملة شملت أبعاداً سياسية، ودينية، واقتصادية في إطار السياسة الخارجية للدولة العباسية تجاه شعوب الشمال. تتجلى أهداف البحث في كشف الجذور التاريخية لهذا التواصل، وتحليل "رسالة ابن فضلان" كوثيقة سياسية ودعوية رسمية. كما يهدف إلى إبراز الدور الذي لعبته الرحلة في نقل الوجود الإسلامي إلى منطقة الفولغا، وتوضيح كيف استُخدم النفوذ المعنوي والشرعية الروحية للخلافة كأداة بديلة عن التوسع العسكري.أما النتائج، فقد خلصت الدراسة إلى أن العلاقة قامت على تداخل عضوي ومصالح متبادلة؛ حيث نال البلغار اعترافاً سياسياً ودعماً لبناء حصن دفاعي ضد الخزر، بينما عززت بغداد حضورها الرمزي وتأمين طرق تجارتها الشمالية. وأكدت النتائج أن البعثة نجحت في مأسسة الإسلام في المنطقة عبر بناء المساجد وتنظيم الشعائر. كما أثبتت الدراسة القيمة المصدرية الفائقة لرحلة ابن فضلان في تقديم أول توصيف إثنوغرافي وجغرافي دقيق لشعوب الشمال في التراث العربي الإسلامي.

المقدمة:

تمثّل العلاقات الخارجية للدولة العباسية أحد أبرز مظاهر قوتها وحيويتها الحضارية؛ فهي لم تقتصر على البيئات القريبة من العالم الإسلامي، بل امتدت إلى مناطق بعيدة في آسيا الوسطى وشمال أوروبا، ووصلت إلى شعوب لم تربطها بالخلافة صلات مباشرة من قبل. وتأتي رحلة أحمد بن فضلان إلى بلاد بلغار الفولغا في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي مثالًا بارزًا لهذا التواصل الدبلوماسي والدعوي الذي انتهجته الخلافة العباسية.

تكتسب رحلة ابن فضلان قيمتها من كونها مصدرًا مباشرًا سجّل فيه مشاهداته بدقة، ووصف الأحوال السياسية والدينية والاجتماعية للشعوب التي مرّ بها. وقد قدّم هذا النص صورة واضحة عن طبيعة العلاقة بين بغداد وممالك الشمال الناشئة، التي بدأت تتطلع إلى التعرّف على الإسلام عبر القنوات السلمية والدبلوماسية.

ومن هنا تبرز أهمية دراسة العلاقات العباسية–البلغارية عبر رحلة ابن فضلان، لما تحمله من أبعاد سياسية ودعوية وثقافية أغفلها كثير من الباحثين الذين انشغلوا بالعلاقات الإسلامية مع القوى الكبرى كالدولة البيزنطية والصين.

إشكالية البحث

تتمحور الإشكالية الأساسية في السؤال الآتي:

ما طبيعة العلاقات العباسية–البلغارية كما تُظهرها رحلة ابن فضلان؟ وما الأبعاد السياسية والدينية والحضارية التي حملتها هذه الرحلة في إطار السياسة الخارجية العباسية؟

ويتفرع عن هذا السؤال مجموعة من الإشكالات الفرعية:

1. ما الظروف التاريخية والسياسية التي مهدت لهذه العلاقات؟
2. كيف مثّلت رحلة ابن فضلان عملًا دبلوماسيًا ودعويًا في آن واحد؟
3. ما أثر هذه الرحلة في ترسيخ الوجود الإسلامي في منطقة الفولغا؟
4. كيف أسهمت في نقل صورة شعوب الشمال إلى العالم الإسلامي؟

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من عدة جوانب:

1. تاريخيًا: يسلط الضوء على مرحلة مبكرة من التواصل بين المسلمين وشعوب الفولغا.
2. مصدرًا: يعتمد على نص ابن فضلان باعتباره شهادة معاصرة لأحداث القرن الرابع الهجري.
3. تحليليًا: يكشف التداخل بين السياسي والدعوي في العلاقات الخارجية العباسية.
4. حضاريًا: يوضح كيف مدّت الخلافة نفوذها المعنوي عبر البعثات بدل الفتح العسكري.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

1. بيان جذور العلاقات العباسية–البلغارية ودوافع الطرفين.
2. تحليل رحلة ابن فضلان باعتبارها وثيقة سياسية–دعوية.
3. الكشف عن الأبعاد المختلفة لهذه العلاقات.

4. الإسهام في الدراسات الخاصة بالعلاقات الإسلامية–الأوروبية المبكرة.

منهج البحث

اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، من خلال جمع النصوص المتعلقة بالرحلة ودراستها في سياقها السياسي والديني، مع استخدام المنهج النقدي لفحص الروايات ومقارنتها بالمصادر الجغرافية الأخرى، والاستعانة بالدراسات الحديثة التي تناولت نص الرحلة.

المبحث الأول: الإطار التاريخي للعلاقات العباسية–البلغارية قبل رحلة ابن فضلان

لم تكن رحلة ابن فضلان إلى مملكة بلغار الفولغا حدثًا مفاجئًا، بل جاءت تتويجًا لتقاربٍ قائمٍ منذ عقود بين الخلافة العباسية والشعوب الواقعة في أقصى شمال آسيا وأوروبا . إذ شكل هذا التواصل إحدى الصفحات المهمّة في تاريخ التواصل الإسلامي في العصور الوسطى .وتأتي مملكة بلغار الفولغا (Volga Bulgaria) في مقدمة تلك الكيانات التي أقامت روابط سياسية ودعوية مع الدولة العباسية في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، قبل أن يُوفَد إليها أحمد بن فضلان سفيرًا ورسولًا رسميًا من بغداد سنة309 هـ921/م[1]

أولًا: الوضع العباسي سياسيًا ودعويًا

سياسياً شهدت الخلافة العباسية في القرن الرابع الهجري مرحلةً من التحولات السياسية الداخلية، مع بقاء بغداد مركزًا روحيًا وسياسيًا للعالم الإسلامي. ففي عهد الخليفة المقتدر بالله **(295-320هـ)** شهدت الدولة العباسية فترة من الضعف السياسي تميزت بصراع السلطة بين الخليفة وقادة الجيش مما أدى لتدخل القادة في شؤون الحكم وتعيين وعزل الوزراء. كما انتشرت الفوضى في الإدارة الداخلية بعد تدخل النساء في الحكم ولاسيما والدة الخليفة "شغب" حيث قامت بعزل قضاة وتعيين وزراء[2]. حيث كان الخليفة المقتدر طوال فترة حكمه ألعوبة بأيادي أفراد حاشيته وهنا يشير ابن الطقطقا إلى الجو المليء بالصراعات والانحطاط السياسي فيقول: " وعلم أن دولة المقتدر كانت دولة ذات تخليط كثير لصغر سنه ولاستيلاء أمه ونسائه وخدمه عليه، فكانت دولته تدور أمورها على تدبير النساء والخدم، وهو مشغول بلذاته، فخربت الدنيا في أيامه وخلت بيوت الأموال واختلفت الكلمة .."[3]

كانت بغداد في عصر ابن فضلان تتسم بالوفرة الحضارية والازدهار الفكري والثقافي والعمراني وهنا "ابن الطقطقا" يصور مشهد بلاط الخليفة المقتدر بالله فيقول: " وكان المقتدر سمحاً كريم الإنفاق رد رسوم الخلافة من التجمّل وسعة الإدارات والمعاش وكثرة الخلع والصلاة كان في دارة أحد عشر ألف خادماً خصي من الروم والسودان وكانت خزانة الجواهر في أيامه مترعة

بالجواهر النفيسة"[4] وفي المقابل كانت الدعوة السياسية للخلافة العباسية في أوجها حيث نشطت السياسة الخارجية العباسية عبر القنوات السلمية والدبلوماسية، من خلال المراسلات وإرسال الوفود إلى الممالك البعيدة، مما يعكس حرص الدولة على توسيع دائرة الدعوة الإسلامية ومدّ نفوذها المعنوي[5] ولعل من أبرز مظاهر هذه السياسة أن استجابت الخلافة العباسية لطلب ملوك البلغار على نهر الفولغا، فأرسلت إليهم بعثة دينية–سياسية بقيادة ابن فضلان، لتعليمهم أصول الإسلام، وبناء مسجد ومنبر تُذكر فيه الدعوة للخليفة، وتعزيز الروابط السياسية بين الجانبين[6]

ثانيًا: مملكة بلغار الفولغا - موقعها و أصول ساكنيها

احتلت دولة البلغار الفولغا موقعاً جغرافياً مهماً، استمدته من موقعها في الشمال الغربي من قفقاسيا، حيث أسهم هذا الموقع بمنحها أهمية تاريخية واقتصادية مميزة بوقوعها على ملتقى طرق تجارية عديدة، من حيث أنها قريبة من نهر الفولغا وبحر الخزر بالإضافة لوقوعها بين الخزر والصقالبة[7]

كانت هذه السهوب تعرف في المصادر العربية والفارسية خلال القرن الخامس عشر الميلادي ب (دست قفج) أي سهوب قفجاق، و (دست خزر) أي سهوب الخزر[8]

حيث تمتد دولة البلغار من جبال الأورال شرقاً إلى مجرى نهر الفولغا غرباً ومن الجنوب تمتد إلى بحر قزوين أي حدود دولة الخزر أو ما يقرب منها وأما الحدود الشمالية فكانت تنتهي إلى البلاد التي سمها القدماء أرض الظلمة[9]

حدد ابن رسته موقعها بشكل أكثر دقة إذ قال في كتابه: "وبلكار متاخمة لبلاد برادس ، وهم نزول على حافة النهر الذي يصب في بحر الخزر المسمى أتل وهم بين الخزر والصقالبة"[10]

كما تم تحديد موقعها في كتاب تقويم البلدان حيث جاء فيه: " أن على يمين بلاد البلغار في نحو الجنوب مملكة الكاساق أمة بين الإنجاز وبين اللان ثم يسير على يمين بلاد البلغار وفي الجنوب مملكة اللان إلى آخر حد البلغار ثم يتصل بعد ذلك من نحو الجنوب بمملكة الخزر وهو آخر حد البلغار لإفضائه إلى أمه يقال لها المروسية .."[11]

وذكر محمد رمزي في كتابه عن أراضيهم قائلاً : تمتد الأرض التي بها قوم بلغار ومدينتهم وما جرت فيه أحكامهم من وراء جبال قوقازيا متوغلة في الشمال فيمكن تحديد أرضهم بحسب سيطرتهم عليها وشرقاً بجبال أورال ونهره وهو يسمى أيضاً نهر جايق وغرباً بملتقى نهري أوقا وفولغا وجنوباً بولايات سراطوف و بينزا وطامبوف وشمالاً إلى آخر المعمورة أي البحر المتجمد الشمالي[12]

أما إذا تطرقنا لوصف الرحالة لهذه المنطقة أثناء القرن العاشر مثل ابن فضلان وابن حوقل وغيره بأن أرض ولاية بلغار بالمنطقة الجغرافية بين الأنهار : جرمشان جنوباً، سفياجا غرباً، وقاما شمالاً، ونهر شيشما شرقاً[13]

لا يوجد إلى الآن أدلة قطعية عن أصول البلغار ولكن ورد في بعض المراجع البيزنطية والروسية أن دولة البلغار قد أُسست على يد كبرات (قوارات) خان في سنة 632م في الأرض الممتدة من جزيرة القرم إلى بحر قزوين ومن مدينة صمارا شمالاً إلى جنوب أوسيتيا جنوب القفقاز وحسب زعمهم فقد هرب كبرات خان وهو من قبيلة دولو من سلطنة الهون المتداعية وأعلن نفسه حاكماً مستقلاً على الأراضي التي سيطر عليها ودخلت كل القبائل البلغارية التي تعيش بمناطق البحر الأسود وبحر أزوف وقزوين تحت سلطته مباشرةً وكان هذا التحالف بمثابة حكومة حقيقة لأن كبرات خان كان شخصاً متعلماً ومثقفاً في بيزنطة فقد نشأ في البلاط القيصري في القسطنطينية وكانت علاقته ودية مع الامبؤاطورية البيزنطية حتى نهاية حكمه[14]

وعن أصول البلغار ذكر ابن الأثير من أحداث سنة 433هـ أنه وصل جماعة من البلغار إلى بغداد يريدون الحج، فأقيم لهم من الديوان الإقامات الوافرة. فسأل بعضهم من أي الأمم هم البلغار؟ فقال: هم قوم تولدوا بين الترك والصقالبة، وبلدهم في أقصى الترك، وكانوا كفاراً فأسلموا عن قريب، وهم على مذهب أبي حنيفة ﷺ[15]

وقال المؤرخ خاليكوف أن أصل السكان في بلاد البلغار ينتمي إلى خمسة أصناف وهي: بلغار أو بلكار وسوار واسغل وبرصولا وبرنزار وكان يعيش كلهم في مكان واحد[16]

ثالثًا: دو افع الاتصال بين الطرفين[17]

1- دافع سياسي وأمني:

تمتعت حاضرة بغداد في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي برقي حضاري وعمراني كبير دفع البعيد والقريب للسعي لطلب صداقتها وفي المقابل كانت دولة البلغار الفولغا تتعرض لاعتداء من قبل دولة الخزر[18] وهذا بدا واضحاً في قول ياقوت الحموي : "والخزر وملكهم كلهم يهود، وكان الصقالبة وكل من يجاورهم في طاعته، ويخاطبهم بالعبودية، ويدينون له بالطاعة، وقد ذهب بعضهم إلى يأجوج ومأجوج هم الخزر"[19] أي أنهم كانوا يدينون باليهودية وهم بذلك يخالفون مملكة البلغار التي اعتنقت الدين الإسلامي، وهذا ما عبر عنه ابن فضلان بقوله: " لما وصل كتاب ألمش بن يلطور[20] ملك الصقالبة إلى أمير المؤمنين المقتدر، يسأله فيه البعثة إليه ممن يفقه بالدين ويعرفه شرائع الإسلام ويبني له مسجداً وينصب له منبراً لقيم عليه الدعوة في بلده وجميع

مملكته ويسأله بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له فأجيب إلى ما سأل من ذلك"[21] فالتحصن من الأعداء واعتناقهم الدين الجديد كان الدافع في طلب يد المساعدة من الدولة العباسية .[22]

ومن الجدير بالذكر أن بعثة ابن فضلان بالرغم من أهدافها العسكرية والسياسية كان لها بعداً استراتيجياً فقد أدرك الخليفة المقتدر بالله أهمية موقع بلاد البلغار من الناحية التجارية والفوائد التي تعود على تجارة العرب القاصدين تلك المناطق بالرغم من طول الطريق ومشقته[23]

وهكذا يكون من المؤكد أن بغداد رأت في البلغار مركزاً للثقافة الإسلامية والتأثير الإسلامي وجعلها الحاجز الذي يمنع من توسع يهود الخزر على حساب البلدان التابعة للدولة العباسية.

2- دافع اقتصادي:

كانت بغداد خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي تعيش ترفاً اقتصادياً كبيراً، انعكس على البلاد والأقاليم المجاورة لحاضرة بغداد . وقد بدا ذلك واضحاً في قول ابن فضلان خلال وصفه مدى تأثير دار السلام في مملكة البلغار. حيث يقول: "دخلت أنا وخياط (كان) للملك من أهل بغداد – قد وقع إلى تلك الناحية – قُبتي لنتحدث بمقدار ما يقرأ إنسان أقل من نصف سبع ونحن ننتظر آذان العتمة .. "[24]. وبذلك يكون من دوافع العباسيين لفرض سيطرتهم على دولة البلغار الأهمية التجارية الكبيرة لها نتيجة موقعها الجغرافي على نهر الفولغا [25] إذ تستفيد من الطرق التجارية التي تمر بها [26] وهنا يطالعنا قول ابن خرداذبة أثناء وصفه مسالك التجار : "فأما مسلك تجار الروس وهم جنس الصقالبة، فإنهم يحملون جلود الخزر وجلود الثعالب السود والسيوف من أقصى صقلية إلى البحر الرومي وربما حملوا تجاراتهم من جرجان على الإبل إلى بغداد، فأما مسلكهم في البر .."[27]

وبذلك يكون انتشار الإسلام في بلاد البلغار الفولغا قد ولد عوامل مشجعة لعمليات التبادل التجاري بسبب ما يحويه هذا الدين من تعاليم سمحاء بنشأة التجارة وتطورها. وفي هذا السياق يذكر المسعودي بشأن قيام علاقات تجارية بين العرب وبلاد البلغار الفولغا ما يلي: " والقوافل متصلة بهم من بلاد خوارزم ومن أرض خرسان، ومن خوارزم إليهم، إلا أن ذلك بين بوادي غيرهم من الترك، والقوافل مخفرة منهم"[28]

وبذلك يكون للعلاقات الدينية والدبلوماسية بين العرب المسلمين وبلغار الفولغا أثر كبير في توطيد الصلات التجارية وزيادة النشاط التجاري بين الطرفين[29] حيث ساعد النشاط التجاري

المسلمين في هذه المناطق إلى ازدهار الحركة التجارية وإغراق الأسواق المحلية بالسلع والمنتجات القادمة من الشرق بل تعدى الأمر أكثر من ذلك حيث دفع التجار المسلمين للاستقرار في مناطق بلغار الفولغا وعملوا على إنشاء مستوطنات تجارية إسلامية بغية تسهيل الحركة التجارية، إلى جانب نشر تعاليم الإسلام وقيم الحضارة العربية[30]

رابعًا: طلب ملك البلغاروبعثة ابن فضلان

سنة 309هـ/921م وصلت إلى الخليفة العباسي في بغداد المقتدر بالله سفارة من ملك البلغار ألمش بن يلطور[31] يخبره فيه باعتناقه وشعبه الدين الإسلامي ويطلب أن يبعث إليه من يفقهه في الدين ويعرفه شرائع الدين الإسلامي ويعرفه شرائع الإسلام ويبني له مسجداً، وينصب له منبراً يقيم عليه الدعوة للخليفة في كافة أرجاء مملكته، كما طلب منه مساعدته في بناء حصن بين مملكته ومملكة الخزر يكون حصناً له من خاقان الخزر[32]

كانت بغداد على اعتبارها مركز الخلافة الإسلامية مقصداً للسفراء الذين كانوا يتوافدون إليها من مختلف الدول والممالك من آسيا وأوروبا محملين بمختلف التحف والهدايا ويتوددون للخليفة ويسعون لإقامة علاقات مع الدولة العباسية، وكانت تلك السفارة التي أوفدها ملك البلغار أكبر مثال للمكانة التي بلغتها الخلافة العباسية وأهميتها بين الدول والأمم خلال تلك الفترة، بالإضافة إلى ما تمثله من شرعية دينية على اعتبار أنها مركز الخلافة الإسلامية

ورداً على تلك السفارة شكل الخليفة العباسي وفداً ليمثل سفارته إلى ملك البلغار وكان أحمد بن فضلان أحد أفراد تلك البعثة المكونة من أربعة أعضاء وهم عبد الله بن باشتو الخزري وهو رسول ملك الصقالبة البلغار، والرسول البلغاري سوسن الرسي مولى نذير الحرمي، وتكين التركي وباريس الصقلابي[33] إلى جانب أشخاص ثانويين فيهم الفقيه والمعلم والغلمان كمعاونين للوفد، وكانت مهمة ابن فضلان التي كلفه الخليفة بها هي رئاسة السفارة كما أسند إليه مهمة حمل وقراءة رسالته أمام ملك البلغار وتقديم المبلغ المالي إليه الذي كان يبلغ أربعة آلاف دينار[34]

يُعدّ هذا الطلب وثيقة تأسيسٍ للعلاقات العباسية–البلغارية، لأنها تجمع بين العناصر الدينية والسياسية في آن واحد[35]

خامساً: الطريق إلى الفولغا ومسار الرحلة:

انطلقت الرحلة من بغداد يوم الخميس 11صفر عام 309هـ الموافق 21 حزيران 921م، واتجهت شرقاً ثم شمالاً مروراً بإقليم الجبال ، فهمذان، فالري قرب طهران اليوم، ثم عبروا نهر جيحون

حتى وصلوا إلى مملكة البلغار يوم الأحد 12 محرم 310هـ الموافق 11 ايار العام 922م فكانت بذلك مدة الرحلة 11 شهراً[36]

كانت رحلة ابن فضلان طويلة واجه فيها هو وبقية أفراد الرحلة مخاطر الطريق وقساوة المناخ والتضاريس الصعبة وقطاع الطرق حيث يروي ابن فضلان عن خطر الموت الذي لاقاه أثناء عبوره بلاد الترك أنه قد التقى من القواد طرخان وينال وابن أخيهما وإيلغز وقد كان طرخان أنبلهم وكان أعرج أعمى أشلّ فقال لهم أن هؤلاء رسل ملك العرب إلى صهري ألمش بن شلكي ولم يخيرني أن أطلقهم إلا عن مشورتكم فاستنكر طرخان ورفاقه هذا الشيء الذي ما مر بهم من قبل ولا سمعوا به منذ عهد أجدادهم واعتقدوا أن السلطان قد أعمل الحيلة ووجه هؤلاء إلى الخزر فاختلفت الاقتراحات بين أن يُقطع الرسل نصفين ويأخذون ما معهم وبين أن يأخذوا ما معهم ويتركونهم عراة يرجعون من حيث أتوا واقترح آخر أن يبادلونهم كفدية مكان الأسرى عند ملك الخزر ويروي ابن فضلان ما زالوا يتشاورون فيما بينهم بهذه الاحتمالات سبعة أيام وهم في حالة الموت حتى اجمع رأيهم أن يخلوا سبيلهم .وهنا يذكر ابن فضلان الهدايا التي قدموها ومنها أنهم أعطوا طرخان هدايا ثمينة حتى انصرفوا عنهم[37]

كما جاء في كتاب ابن فضلان في أثناء وصف رحلته عن البرد القارس الذي تعرض له في مدينة "الجرجانية"[38] بأنهم قد أقاموا بالجرجانية أياماً وجمد نهر "جيحون لشدة البرد[39] وكان سمك الجليد سبعة عشر شبراً وكانت الخيل والبغال والحمير والعجل تسير عليه كما تجتاز على الطرق وهو ثابت لا يتخلخل وأنه قد بقي على حاله هذه ثلاثة أشهر[40] وتحدث أيضاً أنه قد طال مقامه بالجرجانية فبقي بها أياماً من رجب وشعبان ورمضان وشوال وكان طول المقام بسبب البرد وشدته وفي سياق حديثه عن شدة البرد يروي ابن فضلان أنه قد سمع أن رجلين ساقا اثني عشر جملاً ليحملا عليها حطباً من بعض الفياض فنسيا أن يأخذا معهما قداحة وحراقة وأنهما باتا من غير نار فأصبحا والجمال موتى من شدة البرد[41] ويسترسل ابن فضلان بوصف شدة البرد بأن الشوارع والأسواق تكاد تخلو من إنسان ولا يستقبل إنسان أي أحد ويتحدث عن نفسه عندما يخرج من الحمام وينظر إلى لحيته فيراها قطعة واحدة من الثلج حتى كان يقربها إلى النار وكان ينام في بيت جوف وفيه قبة لبود تركية وهو مدثر بالأكيسة والفرى وأنه قد التصق خده على المخدة لشدة البرد[42]

المبحث الثاني: رحلة ابن فضلان ومظاهر العلاقات العباسية–البلغارية

تُعدّ رحلة أحمد بن فضلان إلى بلاد البلغار سنة309 هـ921/م واحدة من أبرز الرحلات الدبلوماسية في العصر العباسي، فهي تمثل نموذجًا فريدًا للتفاعل بين مركز الخلافة العباسية في بغداد، وأطراف العالم الإسلامي النائية في أقاصي حوض الفولغا .وقد جمعت هذه الرحلة بين الطابعين السياسي والدعوي، فكان الهدف منها ترسيخ دعائم الإسلام في بلاد البلغار، وبناء مؤسسات دينية تعبّر عن الارتباط الرمزي بالخلافة، فضلًا عن توطيد الروابط السياسية والاقتصادية .وقد دوّن ابن فضلان تفاصيل هذه الرحلة في رسالة تعد من أهم المصادر الجغرافية والاجتماعية التي وصلتنا من القرن الرابع الهجري[1].

أولًا: شخصية ابن فضلان ووظيفته الرسمية

هو أحمد بن العباس بن راشد بن حماد[43] صاحب الرحلة إلى بلاد الترك والخرز والروس والصقالبة، كان في البداية من موالي محمد بن سليمان الحنفي فاتح مصر ثم أصبح من موالي الخليفة المقتدر العباسي (295-320هـ)[44]

أما عن محل ولادته ونسبته فلا توجد معلومات في هذا المجال ويبدو أن حياته ونشأته غامضة لم تتناولها المصادر بشكل مفصل وإنما تذكر فقد أخبار رحلته التي قام بها[45]

لم يشر ابن فضلان في رسالته إلى أي تفاصيل شخصية تتعلق بالزواج أو الأبناء رغم وصفه التفصيلي لمشاهداته الاجتماعية لدى الشعوب الأخرى ومن المرجح أن هذا الغياب يعكس طبيعة المصادر التاريخية العربية التي تركز على الإنجازات العامة للأفراد أكثر من تفاصيل حياتهم الشخصية خاصةً إذا لم تكن مؤثرة في أعمالهم.

كان ابن فضلان يعمل كموظف حكومي حيث عين من قبل الخليفة العباسي للمشاركة في بعثة دبلوماسية وهذا ما وفر له دخلاً ثابتاً بالإضافة لمشاركته ببعض الأنشطة التجارية أثناء ترحاله[(46)] إن اختيار ابن فضلان لم يكن اعتباطيًا؛ فهو لم يكن مجرد كاتب أو رسول، بل كان أيضًا مبلّغًا ومعلّمًا وفقهيًا، وهو ما تؤكده مهمته المزدوجة في تبليغ رسالة الخليفة وتعليم المسلمين الجدد أصول دينهم، وبناء المسجد والمنبر، والإشراف على تنظيم الشؤون الدينية في المملكة البلغارية[47]

ثالثًا: استقبال البلغار للبعثة

كما ذكرنا كانت رحلة ابن فضلان طويلة واجه فيها هو وبقية أفراد الرحلة مخاطر الطريق وقساوة المناخ والتضاريس الصعبة وقطاع الطرق إلا أن حفاوة الاستقبال التي حظي بها ابن فضلان ومن معه لدى ملك البلغار أنستهم متاعب الرحلة ومخاطرها. حيث خرج لاستقبالهم

وفد خاص ضم الملوك الأربعة التابعين للملك وإخوته وأولاده فاستقبلوهم زمعهم الطعام والشراب وقد شارك الملك بنفسه باستقبالهم ونثر عليهم الدراهم كما هي عادتهم وأنزلهم في المكان الذي أعده لاستقبالهم[48]

وتذكر المصادر أنه حين دخل على أميرها فأكرمه وأحسن ضيافته ويذكر ابن فضلان أن الأمير نصحه أكثر من مرة أن يرجع عن الرحلة لأنه على الأغلب سيتعرض هو ومن معه للهلاك وألحّ في ذلك إلا أن ابن فضلان كان يزداد تثبتاً بالهمة ويتشوق للإقدام على الرحلة[49]

وقد أظهر الملك سروره الكبير بوصول الوفد، وأعلن التزامه بمضمون الرسالة، ورغبته في تنفيذ ما ورد فيها من بناء مسجد ومنبر، وإظهار الدعوة للخليفة العباسي في بلاده .ويظهر من وصف ابن فضلان أن لحظة تسليم الرسالة كانت ذات طابع رسمي وديني في الوقت نفسه، فهي ترسّخ علاقة التبعية الرمزية بين البلغار والخلافة، وتؤكد قبولهم للإسلام بشكل رسمي[50]

رابعًا: مظاهر العلاقات السياسية والدينية

خَلُصت رحلة ابن فضلان إلى أرض البلغار إلى إظهار بُعد ديني – سياسي واضح في علاقاتهم مع الخلافة العباسية "

أولاً: كان "رفع الدعوة للخليفة على المنابر في بلاد البلغار بمثابة إقرار رمزي بخضوع الكيان السياسي المحلي لسلطة مركزية ما يعكس رغبة في ربط المكان ب "عالم الخلافة"

ثانياً: شملت البعثة أمراً ببناء مسجد ومنبر بإشراف العباسيين وبموافقة الملك البلغاري خطوة اعتبرت تأسيس "مؤسسة دينية رسمية" داخل المملكة ترسخ مكانة الإسلام وتنقل دعائم الخلافة إلى الفضاء المحلي.

ثالثاً: لم يقتصر دور ابن فضلان على بناء هيكل أو نصب ديني بل باشر هو ومرافقوه تعليم السكان أحكام الطهارة والصلاة والعبادات الأساسية وشرح قواعد الدين لمن كانوا جدد على الإسلام ضمن محاولة فعالة لجعل الإسلام منظومة معيشية لا مجرد شعار ثقافي.

رابعاً: تزامنت مع ذلك مراسلات دبلوماسية بين بغداد وبلاد البلغار أسهمت في تنظيم العلاقات السياسية والمالية وتوضيح مكانة الخليفة لدى الطرف الآخر ما يعكس أن التواصل لم يبق شخصياً أو ظرفياً بل أصبح علاقة مؤسسية [51]

بناءً عليه يمكن النظر إلى بعثة ابن فضلان كجسر ديني وسياسي سمح بنقل نفوذ الخلافة العباسية إلى الفضاء البلغاري ليس فقط من خلال الدعوة بل عبر بناء مؤسسات رسمية، تعليم ديني ممنهج، وصيغة تواصل دبلوماسي مؤطر. ورغم أن هذا لا يعني خضوعاً إدارياً دائماً ولا

تحولاً سياسياً مطلقاً إلا أنه يشكل تحولاً نوعياً في طبيعة العلاقة بين البلغار والعالم الإسلامي من مجرد علاقات حدودية أو تجارية إلى أن تكون هناك روابط إيديولوجية ودينية تربط الطرفين.

خامسًا: الوصف الاجتماعي والثقافي للبلغار

قدّم ابن فضلان أوصافًا مهمة للمجتمع البلغاري في مطلع القرن الرابع الهجري، أشار فيها إلى بساطة معيشتهم، وحرصهم على تعلم الدين الجديد، وذكر أنهم كانوا يتوجهون إلى الوفد بالسؤال في شؤون العبادات .كما أشار إلى انتشار بعض العادات المحلية التي لا توافق الشريعة الإسلامية، مما دعا الوفد إلى توجيههم وتعليمهم[52]

لم يكتفِ ابن فضلان بتنفيذ مهمته بتوصيل الرسالة إلى ملك البلغار وإنما اندمج بالحياة الاجتماعية لتلك الشعوب والقبائل التي مر بها ومارس دور المراقب والناقد والناصح في بعض الأحيان في حال شاهد ما لم يعجبه خاصة فيما يتعارض مع مبادئ الشريعة الإسلامية من منكرات ومحرمات تتعارض مع القيم الإنسانية والاجتماعية التي دعا إليها الإسلام.

ففي رحلة ابن فضلان وأثناء مروره بمدن بحر الخزر مرّ ابن فضلان بقبيلة تركية تعرف "بالغزية" ووصفهم بأنهم من البادية يعيشون ببيوت من شعر يحلون ويرتحلون وشبههم بحميرهم وقطعانهم فلا دين لهم ولا يعملون عقولهم ولا يعبدون شيئاً ويسمون رؤساؤهم أرباباً وهم لا يغتسلون من غائط ولا من بول ولا من جنابة وليس بينهم وبين الماء أي عمل وخاصةً في فصل الشتاء ولا يستتر رجالهم من نساؤهم ولا من غيرهم ولا تستر المرأة شيئاً من جسمها عن أي أحد من الناس ويروي ابن فضلان عن نزوله يوماً على رجل منهم وقد جلسوا وامرأة الرجل معهم وأثناء تحدثهم كشفت المرأة عن مايجب ان تستر به من عورة فأشاحوا بأبصارهم اي ابن فضلان ومن معه في الرحلة عنها واستغفروا الله فضحك زوجها من فعلهم[53]

كذلك يؤكد ابن فضلان عن معاناته من عدم قدرته على الاغتسال فلا يسمح عندهم لأي أحد من التجار أو الزوار أن يغتسل من جنابة بحضرتهم إلا ليلاً بحيث لا يستطيعون رؤيته وذلك لاعتقادهم أن من يغتسل يريد أن يسحرهم لأنه تفرس في الماء فيغضبون منه ويغرمونه مالاً[54]

ووصف ابن فضلان طبيعة مساكنهم، ولباسهم، وعلاقتهم بالطبيعة القاسية المحيطة بهم، وذكر تأثرهم بالتقاليد التركية والسلافية المحيطة مع وجود نزعة قوية نحو التنظيم الديني الجديد الذي جاءهم من بغداد . حيث يروي ابن فضلان عن عادات احدى القبائل في بلاد الصقالبة أن الرجال والنساء ينزلون النهر ويغتسلون جميعاً عُراة لا يستتر بعضهم من بعض ويؤكد ابن

فضلان أنه سعى ليجعل النساء تستتر من الرجال عند السباحة والاغتسال ولكن لم يتحقق له ذلك[55]، فكانت معاناته المستمرة في صعوبة اقناعهم بترك الخصال السيئة واذا ما حاول كان يجابه بالرد الذي قد يكون سببا في طرده من المكان الذي يقيم فيه علما انه خرج بدعوة من ملك البلغار للتعرف على الاسلام واعتناقه .[56]

سادسًا: أهمية الرحلة كمصدر

تحتل رحلة أحمد ابن فضلان مكانة فريدة في علم الجغرافيا وأدب الرحلات وتاريخ العلاقات الدبلوماسية فهي حتى يومنا هذا تنال أهمية كبيرة بين المصادر التي تركها الرحالة فيما يتعلق بتاريخ روسيا وبلاد البلقان والقوقاز لاحتوائها على معلومات بالغة الأهمية عن أحوال تلك الشعوب في القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي على اعتبار أنه من أوائل الرحالة الذين قصدوا تلك البلاد كما احتك بشعوب وقبائل لم يسبقه إليها أحد. فعلى الرغم من أن ابن فضلان كان يحمل مهمة رسمية من قبل الخليفة إلا أنه كان شاهداً على حياة الكثير من الشعوب التي مر بها أثناء رحلته وتعامل معها من الأتراك والخزر والبلغار والروس[57]

ومن هنا تكتسب رحلة ابن فضلان أهمية كبيرة لأنها تعد مصدرًا مباشرًا من شاهد عيان عباسي عن مناطق نائية لم تكن معروفة جيدًا في ذلك الوقت .فهي تمدّنا بمعلومات سياسية عن علاقة الخلافة العباسية بالشعوب الشمالية، ومعلومات دينية عن بدايات الإسلام في بلاد الفولغا، ومعلومات جغرافية وإثنوغرافية عن الطريق والقبائل والظروف المناخية [58].وقد اعتمد عليها الجغرافيون اللاحقون مثل ياقوت الحموي والمسعودي في وصفهم لتلك المناطق، كما أصبحت مصدرًا أساسيًا للدراسات الحديثة حول الإسلام في أوروبا الشمالية وآسيا الوسطى[59]

نالت رحلة ابن فضلان عناية كبيرة من قبل الباحثين والمحققين وذلك لكونها من أوائل الرحلات العربية التي وصلت إلينا بالإضافة إلى أن ياقوت الحموي والمقدسي قد أقروا ونقلوا عنها وكذلك القزويني في كتابه "آثار البلاد وأخبار العباد" وهذا خير دليل على أهمية هذه الرحلة وأهمية المعلومات التي عادت بها[60]

المبحث الثالث: الأبعاد السياسية والدينية للعلاقات العباسية–البلغارية

تكشف رحلة أحمد بن فضلان إلى بلاد بلغار الفولغا سنة 309هـ/921م عن طبيعةٍ مركبة للعلاقات التي نشأت بين الخلافة العباسية ومملكة البلغار، وهي علاقات تجاوزت الإطار الديني الدعوي الضيق لتشمل أبعادًا سياسية ودبلوماسية وحضارية متداخلة. فقد جاءت هذه الرحلة في سياقٍ تاريخي حساس كانت فيه الخلافة العباسية، رغم ما يعترضها من تحديات داخلية،

حريصةً على توسيع حضورها الرمزي والروحي في أطراف العالم الإسلامي، ولا سيما في المناطق الشمالية البعيدة عن المركز. وفي المقابل، كانت مملكة بلغار الفولغا تسعى إلى ترسيخ كيانها السياسي وتعزيز موقعها الإقليمي في ظل صراع القوى المجاورة، مما جعل العلاقة بين الطرفين قائمة على تبادل المصالح والاعتراف المتبادل.[61]

أولًا: الإطار السياسي والدبلوماسي للعلاقات العباسية–البلغارية

احتلت مملكة بلغار الفولغا موقعًا جغرافيًا بالغ الأهمية جعلها عنصرًا فاعلًا في شبكة العلاقات التجارية والسياسية التي ربطت العالم الإسلامي بأقاليم أوروبا الشمالية. فقد شكّل نهر الفولغا شريانًا اقتصاديًا حيويًا تمر عبره السلع والأفكار، الأمر الذي منح البلغار وزنًا اقتصاديًا واستراتيجيًا، لكنه في الوقت نفسه أدخلهم في مواجهة مباشرة مع قوى إقليمية كبرى، وعلى رأسها دولة الخزر التي سيطرت على أجزاء واسعة من الطرق التجارية، وفرضت نفوذها السياسي والاقتصادي في المنطقة[62]

في ظل هذا الواقع، أدرك ملك البلغار أهمية الارتباط بالخلافة العباسية بوصفها القوة الروحية الكبرى في العالم الإسلامي، والقادرة على منحه شرعيةً دينية وسياسية تعزز من مكانته داخليًا وخارجيًا. ومن هنا، جاء التواصل مع بغداد خطوة محسوبة تهدف إلى موازنة النفوذ الخزري، وتدعيم استقلال المملكة، وربطها مباشرة بالمركز الإسلامي بعيدًا عن وساطة القوى الإقليمية المنافسة.

أما من الجانب العباسي، فقد عكست الاستجابة لهذا الطلب رؤية سياسية قائمة على توسيع النفوذ عبر الوسائل السلمية والدبلوماسية، وليس من خلال الفتح العسكري.[63] إذ إن إرسال بعثة رسمية تحمل رسالة الخليفة، وتضم فقهاء ومهندسين وهدايا، يدل على وعي البلاط العباسي بأهمية توظيف الدين والدبلوماسية أداةً للنفوذ في المناطق البعيدة التي يصعب إخضاعها بالقوة. كما سعت الخلافة من خلال هذه السياسة إلى تأمين طرق التجارة الشمالية، وتعزيز موقعها بوصفها المرجعية العليا للمسلمين، حتى في الأقاليم النائية.[64]

وتبرز الدلالات السياسية لهذه العلاقة بوضوح في قبول البلغار بإقامة الدعوة للخليفة العباسي على منابرهم، وهو تقليد ذو بعد سياسي عميق في الثقافة الإسلامية، إذ يُعدّ إعلانًا صريحًا للاعتراف بالسيادة الرمزية للخليفة. كما أن تبادل الرسائل، واستقبال الوفد رسميًا، وبناء المسجد والمنبر، وطلب إنشاء الحصن، كلها مؤشرات على أن العلاقة لم تكن شكلية أو مؤقتة،

بل مثّلت نوعًا من التحالف الرمزي القائم على المصالح المتبادلة، حيث عززت الخلافة نفوذها المعنوي، بينما حصل البلغار على دعم سياسي وديني أسهم في تثبيت أركان دولتهم.[65]

ثانيًا: البعد الديني والحضاري في التواصل العباسي–البلغاري

إلى جانب الإطار السياسي، شكّل البعد الديني جوهر العلاقة بين الخلافة العباسية ومملكة بلغار الفولغا، إذ جاءت البعثة العباسية استجابةً لرغبة واضحة من الملك في ترسيخ الإسلام بين قومه، وتحويله من اعتناقٍ فردي إلى منظومة دينية واجتماعية متكاملة. وقد اضطلع الوفد بدور محوري في تعليم البلغار أصول الدين، وتنظيم الشعائر، وتصحيح الممارسات الدينية، وبناء المؤسسات الأساسية التي تُعدّ حجر الأساس لأي مجتمع إسلامي ناشئ.

كما امتد الدور الديني للبعثة ليشمل تنظيم جوانب متعددة من الحياة الاجتماعية، من خلال توضيح الأحكام الشرعية المتعلقة بالمعاملات والعلاقات اليومية، وهو ما أدّى إلى إدخال أنماط جديدة من السلوك والتنظيم الاجتماعي المستند إلى المرجعية الإسلامية. وأسهم ذلك في إحداث تحولات ثقافية واجتماعية ملموسة داخل المجتمع البلغاري، عكست عملية اندماج تدريجية في الإطار الحضاري الإسلامي.

ولم يكن هذا التفاعل الحضاري أحادي الاتجاه، بل قام على تبادلٍ مستمر أسهم فيه الطريق التجاري الواصل بين بغداد وحوض الفولغا بدورٍ حاسم. فقد مثّلت التجارة وسيلة رئيسية لانتقال العلماء والفقهاء والسلع والأفكار، وربطت البلغار بالعالم الإسلامي اقتصاديًا وثقافيًا. كما أدّى هذا التواصل إلى إدخال بلاد البلغار ضمن اهتمامات الجغرافيين والمؤرخين المسلمين، الذين بدأوا بتسجيل أحوالها ونظمها الاجتماعية والجغرافية، مما يعكس اتساع أفق المعرفة الإسلامية بالعالم الشمالي.[66]

ومن خلال ذلك، يتضح أن البعد الديني في العلاقات العباسية–البلغارية لم يكن منفصلًا عن أبعاده الحضارية، بل شكّل عنصرًا فاعلًا في إعادة تشكيل هوية المجتمع البلغاري وربطه بالفضاء الإسلامي الأوسع، في إطار من التفاعل السلمي والتبادل الثقافي.[67]

الخاتمة والنتائج

تُعدّ رحلة أحمد بن فضلان إلى مملكة بلغار الفولغا سنة 309هـ/921م وثيقةً تاريخيةً فريدة، لا تقتصر أهميتها على كونها نصًا جغرافيًا أو وصفًا لرحلةٍ بعيدة، بل تمثل شاهدًا حيًا على طبيعة

العلاقات التي ربطت الخلافة العباسية بالشعوب الإسلامية الناشئة في أطراف العالم الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري.

لقد بيّنت هذه الدراسة أن العلاقات العباسية–البلغارية قامت على تداخل وثيق بين البعدين الديني والسياسي، حيث استُخدمت الدعوة الإسلامية أداةً لبسط النفوذ الرمزي، في الوقت الذي سعت فيه مملكة البلغار إلى توظيف هذا الارتباط لتعزيز موقعها الإقليمي وتأمين استقلالها في مواجهة القوى المجاورة، ولا سيما الخزر والروس.

كما كشفت الدراسة عن الدور المحوري الذي أدّته طرق التجارة في ربط بغداد بالمناطق الشمالية، ليس على المستوى الاقتصادي فحسب، بل على المستوى الحضاري والثقافي أيضًا، إذ شكّلت هذه الطرق جسورًا للتواصل، وانتقال الأفكار، وتبادل الخبرات بين عالمين مختلفين جغرافيًا ومتقاربين حضاريًا بفعل الإسلام.

وتؤكد هذه النتائج أن السياسة الخارجية العباسية لم تكن قائمة على القوة العسكرية وحدها، بل اعتمدت بدرجة كبيرة على الأدوات السلمية من دبلوماسيةٍ ودعوةٍ وتواصل حضاري، وهو ما أتاح للخلافة توسيع مجالها الحضاري دون صدام مباشر. كما تبرز رحلة ابن فضلان بوصفها مصدرًا من الدرجة الأولى في دراسة تاريخ العلاقات بين المسلمين وشعوب الشمال، ومفتاحًا لفهم ديناميكية التفاعل الحضاري في العصور الوسطى الإسلامية.

وفي ضوء ذلك، تظل رحلة ابن فضلان شاهدًا على عالمٍ إسلامي متحرك ومنفتح، استطاع أن يمدّ جذوره إلى أقاصي الشمال، ويُعيد تشكيل ملامح الجغرافيا السياسية والدينية لتلك المناطق ضمن إطار حضاري واسع[68]، قوامه التفاعل السلمي، والاعتراف المتبادل، والتكامل الثقافي.

النتائج:

تُظهر دراسة العلاقات العباسية–البلغارية أن هذا التواصل قام على تداخلٍ عضوي بين البعدين السياسي والديني، حيث استخدمت الخلافة العباسية الدعوة والنفوذ الرمزي أداةً لتوسيع حضورها في الأطراف الشمالية، بعيدًا عن الوسائل العسكرية، في حين وظّف البلغار هذا الارتباط لتعزيز شرعية دولتهم وتثبيت موقعهم في محيط إقليمي مضطرب. ويمثل هذا النموذج مثالًا واضحًا على فاعلية السياسة السلمية في التاريخ الإسلامي، وعلى الدور الذي أدّته الدبلوماسية والدعوة والتجارة في توسيع المجال الحضاري الإسلامي خلال العصور الوسطى وأمكن التوصّل إلى جملة من النتائج التاريخية والعلمية المهمة، التي تُبرز طبيعة هذا التواصل وأبعاده المتعددة:

1. تبيّن أن العلاقة بين الخلافة العباسية ومملكة بلغار الفولغا لم تنشأ فجأة أو نتيجة حدثٍ عابر، بل جاءت حصيلة تفاعل طويل لعوامل سياسية واقتصادية ودينية، في مقدمتها أهمية الطريق التجاري عبر الفولغا، والموقع الجغرافي المحوري للمملكة في قلب التوازنات الإقليمية بين الخزر والروس والعالم الإسلامي.
2. أظهرت الرحلة أن الخلافة العباسية انتهجت سياسة خارجية مرنة في تعاملها مع الأطراف البعيدة، اعتمدت على الوسائل الدبلوماسية والدعوية بدلًا من التوسع العسكري المباشر، وهو ما يعكس وعيًا سياسيًا بأولوية النفوذ الرمزي والديني في المناطق التي يصعب إخضاعها بالقوة.
3. أكدت الدراسة أن ملك البلغار، ألمِش بن يِلطوار، كان فاعلًا سياسيًا واعيًا بمتطلبات المرحلة، إذ لم يكن إسلامه مجرد اختيار ديني فردي، بل مشروعًا سياسيًا يهدف إلى تعزيز وحدة دولته، وتحصينها من الهيمنة الخزرية، وتثبيت شرعيتها من خلال الارتباط بالخلافة العباسية.
4. أسهمت البعثة العباسية في ترسيخ الإسلام بوصفه مؤسسة رسمية في بلاد البلغار، من خلال بناء المسجد والمنبر، وتنظيم الشعائر، وتعليم الأحكام الشرعية، وربط المجال الديني المحلي بالمركز العباسي في بغداد، وهو ما أفضى إلى نشوء هوية إسلامية واضحة للمملكة.
5. برز الطريق التجاري الواصل بين بغداد وحوض الفولغا بوصفه ركيزة أساسية في نجاح هذا التواصل، إذ مثّل قناةً لنقل الإسلام والثقافة العربية والسلع والأفكار، وأسهم في تحقيق اندماج تدريجي للبلغار في المنظومة الاقتصادية والحضارية الإسلامية.
6. كشفت رحلة ابن فضلان عن تطور ملحوظ في الوعي الجغرافي والإثنوغرافي لدى المسلمين في القرن الرابع الهجري، حيث قدّمت صورة دقيقة نسبيًا عن شعوب الشمال وعاداتهم ونظمهم الاجتماعية، وأسهمت في توسيع آفاق المعرفة الجغرافية في المصادر العربية الإسلامية
7. دلّت المعطيات التاريخية على أن العلاقة بين العباسيين والبلغار اتسمت بطابعٍ تبادلي قائم على المصالح المشتركة؛ فقد عززت الخلافة نفوذها الروحي والرمزي في أقصى الشمال، بينما استفاد البلغار من الاعتراف السياسي والدعم الديني، مما مهّد لاندماجهم في الفضاء الإسلامي الوسيط.

الهوامش:

(1) ابن فضلان، أحمد بن العباس، رسالة ابن فضلان، تحقيق سامي الدهّان، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، 1959م، ص 67. هيو كينيدي، الخلافة العباسية، ترجمة حسن حبشي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998)، ص 211–214.

(2) فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار، ط1، دار الشروق، عمان ، 2009،ج1 ص57

(3)محمد بن علي بن طباطبا، المعروف بابن الطقطقي الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت، ص262.

(4) ابن الطقطقي، الفخري ، ص260 .

(5) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ، دار التراث، بيروت، 1967م،ج 10 ص 85.

(6) علي بن الحسين المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1989م، ج 2 ص 16–17 .

(7) إيمان أحمد جابر ، رؤية البلدانيين العرب للحياة الاجتماعية في بلاد البلغار والروس والخزر (الحياة الاجتماعية في بلاد البلغار والروس والخزر)، مجلة الجامعة المستنصرية، د.ت، ص 5 .

(8) حسين علي الداقوقي، دولة البلغار المسلمين في حوض الفولغا، مجلة المؤرخ العربي، العدد21، 1982، ص202 .

(9) عماد كامل مرعي ، دولة البلغار الإسلامية في شمال القفقاس، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، مجلد8، العدد 3، 2013، ص9 .

(10) أبو علي أحمد بن عمر بن رسته ، الأغلاق النفسية، دار إحياء التراث العربي، مجلد 7، بيروت، د.ت، ص131.

(11) عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء ، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت، ص226.

(12)محمد مراد الرمزي ، تلقيح الأخبار وتلفيق الآثارفي وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، مطبعة الكريميو والحسينية، د.ت، ص261-262 .

(13) ابن فضلان، رسالة ، ص136.

(14) الرمزي، تلقيح الأخبار، ص262

(15) عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن الأثير الشيباني، الكامل في التاريخ، ط 6 دار صادر، بيروت ج 7 ، ص30.

(16) محمود نور الدين شعبان وغلنارة قاسم بايما، نظرة في تاريخ شعب البلغار المسلم، مجلة الشهاب، المجلد 8، العدد1، تركيا، 2022، ص 684 .

(17) Hugh Kennedy, The Prophet and the Age of the Caliphates, 2nd ed., (London: Routledge, 2004), pp. 285–287.

(18) الخزر: هي بلاد الترك خلف باب من الأبواب المعروف بالدربند قريب من سد ذي القرنين ويقولون: هو مسمى بالخزر بن يافث بن نوح عليه السلام. وقال في كتاب العين: الخزر جيل خزر العيون.. وقال ابن فضلان رسول المقتدر إلى الصقالبة في رسالة له ذكر له فيها ما شاهده في تلك البلاد فقال: الخزر اسم إقليم من قصبة تسمى اتل ، واتل اسم لنهر يجري إلى الخزر من الروس وبلغار وتل مدينة والخزر اسم المملكة لا اسم المدينة.

انظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977 ، مج 2، ص 376.

(19) بوعلام شاري ، الصلات العربية الإسلامية في بلاد البلغار (الفولغا) منذ بداية القرن (4هـ-10م) من خلال عيون الرحالة العرب، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 14، العدد 1، 2021، ص 96.

(20) جاء اسمه عند ياقوت الحموي "أمس بن سلكي بلطور" انظر: معجم البلدان، ج 1 ، ص486.

(21) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان ، ص 131.

(22)Lapidus, Ira M., A History of Islamic Societies, 2nd ed., (Cambridge: Cambridge University Press, 2002), pp. 185–186.

(23) فاضل الكاظم الصادق العبادي،العلاقات التجارية والثقافية العربية الإسلامية بشرق أوروبا (الخزر – البلغار- الروس) خلال العصور العباسية. كلية الآداب، جامعة بغداد 1991، ص76.

(24) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص128.

(25)Ashtor, Eliyahu, A Social and Economic History of the Near East, (London: Collins, 1976), pp. 243–245.

(26)ابو القاسم عبيدالله بن عبدالله بن خردادبة، المسالك والممالك، تحقيق دي غويه، (ليدن، 1889)، ص 153؛.

(27) ابن خرداذبة، المسالك ، ص 226 .

(28) المسعودي ، مروج الذهب ، ص 181 .

(29) Noonan, Thomas S., "Why Dirhams First Reached Russia," Byzantine Studies, Vol. 7, 1980, pp. 67–85.

(30) شاري، الصلات العربية الإسلامية في بلاد البلغار (الفولغا)، ص108.

(31) حول إسلام ملك البلغار وشعبه تذكر الروايات أن رجلا صالحاً مسلماً يدعى بلار عالج الملك أماش قيل أن اسمه هو الحسن بن يلطور وزوجته من مرض أصابهما، وأنه اشترط عليهما الدخول في الإسلام إن هما شفيا، فلما تماثلا للشفاء أعلنا إسلامهما وأسلم معهما شعبهما وتسموا ببلغار نسبةً إلى الرجل الصالح وقد أرسل الملك ألماش بن يلطور سفارة إلى الخليفة المقتدر بالله العباسي يخبره فيها بإسلامه وشعبه. عبد الحليم رجب محمد ، انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص107

(32) ابن فضلان، رحلة ، ص67-68 .

(33) تم اختيار أعضاء الوفد ممن يجيدون اللغات الشمالية، تكين التركي هو تركي يجيد اللغات التركية التي تمر السفارة على بلادهم، وسوسن الرسي وهو روسي استجلب من الرقيق أسلم وتعلم اللغة العربية وكان حاجباً للخليفة المكتفي بالله (289-295هـ) أما باريس الصقلابي واسمه يدل على أصله وكان غلاماً لاسماعيل بن أحمد صاحب خراسان ابن فضلان. انظر: ابن فضلان، رسالة ، ص24

(34) ابن فضلان، رسالة ، ص68-88

(35)Montgomery, James E., "Ibn Fadlan and the Rūsiyyah," Journal of Arabic and Islamic Studies, Vol. 3, 2000, pp. 1–25.

(36) ابن فضلان، رسالة ، ص25

(37) بن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص103-104

(38) قصبة ناحية خوارزم وهي مدينة مشهورة على ضفاف جيحون وتتصف ببرودتها الشديدة . انظر: زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ، بيروت، 1960، ص 519-521 .

(39) جيحون نهر ينبع من شمال بلاد افغانستان الحالية من منطقة تسمى بدخشان ثم ينضم إليه أنهاراً كثيرة في نطاق الجبال فيصير نهراً عظيماً ثم يمر على مدن كثيرة حتى يصل إلى خوارزم القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 519 .

(40) بن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص83 .

(41) نفسه، ص84 .

(42) ابن فضلان ، رسالة ، ص85 .

(43) عبد الوهاب عزام ، البلغار المسلمون، مجلة الثقافة، عدد261-262، 1943، ص54.

(44) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص 2.

(45) فؤاد قنديل ، أدب الرحلة، مكتبة الدار، القاهرة ، 2002م ، ص163.

(46) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي، المحلى بالآثار، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 7، ص 145.

(47) المسعودي ، مروج الذهب، 25.

(48) ابن فضلان، الرسالة، ص26-27

(49) قنديل، أدب الرحلة، ص165-167.

(50) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج10، ص 110.

(51) ابن فضلان، الرسالة، ص ص ، 98 – 102 .

(52) ابن فضلان، الرسالة، ص 103 .

(53) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص91-92 .

(54) نفسه، ص94 .

(55) نفسه ، ص134 .

(56) نفسه ، ص 105 .

(57) ابن فضلان، الرسالة، ص124 .

(58) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ، ص 437.

(59)Lunde, Paul & Caroline Stone (eds.), Ibn Fadlān and the Land of Darkness, Penguin Classics, London, 2012, p. 14–25 ; Bosworth, C. E., "Arab Geographers and the North," Iran, Vol. 12, 1974, pp. 45–58.

(60) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص11-14 .

(61) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص67 .

(62) المسعودي، مروج الذهب ، ص 28 .

(63) ابن خرداذبه، ، المسالك والممالك، ص153 .

(64) ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، ص97 .

(65) ابن فضلان، رحل ابن فضلان، ص98

(66)Lunde, Paul & Caroline Stone Ibn Fadlān and the Land of Darkness, p. 30–45.

(67) (Hodgson, Marshall G. S., The Venture of Islam, Vol. 2, (Chicago: University of Chicago Press, 1974), pp. 318–320.

:قائمة المصادر والمراجع

اولا: المصادر

1. ابن الاثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، (ت 630 هـ / 1232 م) الكامل في التاريخ، ط 6 دار صادر، بيروت ، 1992م .
2. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الاندلسي ، (ت 456 هـ/ 1064م) المحلى بالآثار، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 7، ص 145.
3. ابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله،(ت 272هـ /885م) المسالك والممالك، تحقيق دي غويه، (ليدن، 1889).
4. ابن رسته، أبي علي أحمد بن عمر،(ت 300 هـ /912 م) الأغلاق النفسية، دار إحياء التراث العربي، مجلد 7، بيروت، لبنان د.ت، ص131.
5. الطبري، محمد بن جرير، (310 هـ / 922 م) تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، 1967م.
6. ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طبطبا،(ت 709 هـ/ 1309 م) الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت
7. أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر، (ت 732 هـ / 1331 م) تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت.
8. ابن فضلان، أحمد بن العباس، (كان حيا في النصف الاول من إق4 هـ / 10 م) رسالة ابن فضلان، تحقيق سامي الدهّان، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، 1959م.
9. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود ، (ت 622 هـ / 1225 م) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ، بيروت، 1960
10. المسعودي ، علي بن الحسين ، (ت346 هـ / 957 م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1989م.
11. ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي، (ت 626 هـ / 1228 م) ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977.
12. جابر ، إيمان أحمد ، رؤية البلدانيين العرب للحياة الاجتماعية في بلاد البلغار والروس والخزر (الحياة الاجتماعية في بلاد البلغار والروس والخزر)، مجلة الجامعة المستنصرية، د.ت
13. الداقوقي ، حسين علي ، دولة البلغار المسلمين في حوض الغولغا، مجلة المؤرخ العربي، العدد21، 1982
14. الرمزي ، محمد مراد ، تلقيح الأخبار وتلفيق الآثارفي وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، مطبعة الكريميو والحسينية، د.ت.
15. رجب ، محمد ، عبد الحليم ، انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

16. شاري ، بوعلام ، الصلات العربية الإسلامية في بلاد البلغار (الفولغا) منذ بداية القرن (4هـ-10م) من خلال عيون الرحالة العرب، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 14، العدد 1، 2021 .
17. شعبان ، محمود نور الدين وغلنارة قاسم بايما، نظرة في تالريخ شعب البلغار المسلم، مجلة الشهاب، المجلد 8، العدد1، تركيا، 2022 .
18. العبادي ، فاضل الكاظم الصادق ،العلاقات التجارية والثقافية العربية الإسلامية بشرق أوروبا (الخزر – البلغار- الروس) خلال العصور العباسية. كلية الآداب، جامعة بغداد 1991 .
19. عزام ، عبد الوهاب ، البلغار المسلمون، مجلة الثقافة، عدد261-262، 1943 .
20. قنديل ، فؤاد ، أدب الرحلة، مكتبة الدار، القاهرة ، 2002م .
21. فوزي، فاروق عمر، الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار، ط1، دار الشروق، عمان ، 2009 .

ثانياً : المراجع الاجنبية

1. Ashtor, Eliyahu, A Social and Economic History of the Near East, London: Collins, 1976.
2. Bosworth, C. E., "Arab Geographers and the North," Iran, Vol. 12, 1974
3. Hodgson, Marshall G. S., The Venture of Islam, Vol. 2, Chicago: University of Chicago Press, 1974
4. Hugh Kennedy, The Prophet and the Age of the Caliphates, 2nd ed., London: Routledge, 2004،
5. Lapidus, Ira M., A History of Islamic Societies, 2nd ed., Cambridge: Cambridge University Press, 2002
6. Lunde, Paul & Caroline Stone (eds.), Ibn Fadlān and the Land of Darkness, Penguin Classics, London, 2012
7. Montgomery, James E., "Ibn Fadlan and the Rūsiyyah," Journal of Arabic and Islamic Studies, Vol. 3, 2000.
8. Noonan, Thomas S., "The Economy of the Volga Bulghars," Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol. 35, No. 1, 1992،

References:

First: References

1. Ibn al-Athir, Izz al-Din Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam al-Shaybani (d. 630 AH/1232 CE), Al-Kamil fi al-Tarikh (The Complete History), 6th ed., Dar Sader, Beirut, 1992 CE.
2. Ibn Hazm, Ali ibn Ahmad ibn Sa'id al-Andalusi (d. 456 AH/1064 CE), Al-Muhalla bil-Athar (The Adorned with Antiquities), edited by Abd al-Ghaffar Sulayman al-Bandari, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, vol. 7, p. 145.
3. Ibn Khurdadhbih, Abu al-Qasim Ubayd Allah ibn Abd Allah (d. 272 AH/885 CE), *Al-Masalik wa'l-Mamalik*, ed. de Goeje (Leiden, 1889).

4. Ibn Rusta, Abu Ali Ahmad ibn Umar (d. 300 AH/912 CE), *Al-Aghlaq al-Nafsiyya*, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, vol. 7, Beirut, Lebanon, n.d., p. 131.
5. Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir (d. 310 AH/922 CE), *Tarikh al-Rusul wa'l-Muluk*, Dar al-Turath, Beirut, 1967 CE.
6. Ibn al-Tiqtaqi, Muhammad ibn Ali ibn Tabtaba (d. 709 AH/1309 CE), Al-Fakhri fi al-Adab al-Sultaniyya wa al-Dawla al-Islamiyya (The Glorious Treatise on Royal Etiquette and the Islamic State), Dar Sader, Beirut, n.d.
7. Abu al-Fida, Imad al-Din Ismail ibn Muhammad ibn Umar (d. 732 AH/1331 CE), Taqwim al-Buldan (A Calendar of Countries), Dar Sader, Beirut, n.d.
8. Ibn Fadlan, Ahmad ibn al-Abbas (lived in the first half of the 4th century AH/10th century CE), *Risalat Ibn Fadlan*, edited by Sami al-Dahhan, Arab Scientific Academy Publications, Damascus, 1959 CE.
9. Al-Qazwini, Zakariya ibn Muhammad ibn Mahmud (d. 622 AH/1225 CE), *Athar al-Bilad wa-Akhbar al-Ibad*, Dar Sader, Beirut, 1960 CE.
10. Al-Mas'udi, Ali ibn al-Husayn (d. 346 AH/957 CE), *Muruj al-Dhahab wa Ma'adin al-Jawhar*, Dar wa Maktabat al-Hilal, Beirut, 1989 CE.
11. Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abd Allah al-Rumi al-Baghdadi (d. 626 AH/1228 CE), *Mu'jam al-Buldan*, Dar Sader, Beirut, 1977 CE.
12. Jaber, Iman Ahmed, "The Arab Geographers' View of Social Life in the Lands of the Bulgars, Russians, and Khazars" (Social Life in the Lands of the Bulgars, Russians, and Khazars), Al-Mustansiriya University Journal, n.d.
13. Al-Daqouqi, Hussein Ali, "The Muslim Bulgar State in the Golga Basin," Arab Historian Journal, Issue 21, 1982
14. Al-Ramzi, Muhammad Murad, The Fabrication of News and the Fabrication of Traditions in the Events of Kazan, Bulgar, and the Tatar Kings, Al-Karimiyya and Al-Husayniyya Press, n.d.
15. Rajab, Muhammad, and Abd al-Halim, The Spread of Islam Among the Mongols, Dar al-Nahda al-Arabiyya, Beirut, n.d.
16. Shari, Boualam, Arab-Islamic Relations in the Volga Region from the Beginning of the 4th Century AH (10th Century CE) Through the Eyes of Arab Travelers, Al-Wahat Journal for Research and Studies, Vol. 14, No. 1, 2021.
17. Shaaban, Mahmoud Nour El-Din and Gulnara Qasim Bayma, A Look at the History of the Muslim Bulgar People, Al-Shihab Journal, Vol. 8, No. 1, Turkey, 2022.

18. Al-Abadi, Fadhil Al-Kadhim Al-Sadiq, Arab-Islamic Trade and Cultural Relations with Eastern Europe (Khazars, Bulgars, and Russians) during the Abbasid Era. College of Arts, University of Baghdad, 1991.
19. Azzam, Abdul Wahab, The Muslim Bulgars, Al-Thaqafa Magazine, Issue 261-262, 1943.
20. Qandil, Fouad, Travel Literature, Dar Al-Maktabat, Cairo, 2002.
21. Fawzi, Farouk Omar, The Abbasid Caliphate: The Age of Power and Prosperity, 1st ed., Dar Al Shorouk, Amman, 2009.

Second: Foreign sources

1. Ashtor, Eliyahu, A Social and Economic History of the Near East, London: Collins, 1976.
2. Bosworth, C. E., "Arab Geographers and the North," Iran, Vol. 12, 1974
3. Hodgson, Marshall G. S., The Venture of Islam, Vol. 2, Chicago: University of Chicago Press, 1974
4. Hugh Kennedy, The Prophet and the Age of the Caliphates, 2nd ed., London: Routledge, 2004.
5. Lapidus, Ira M., A History of Islamic Societies, 2nd ed., Cambridge: Cambridge University Press, 2002
6. Lunde, Paul & Caroline Stone (eds.), Ibn Fadlān and the Land of Darkness, Penguin Classics, London, 2012
7. Montgomery, James E., "Ibn Fadlan and the Rūsiyyah," Journal of Arabic and Islamic Studies, Vol. 3, 2000.
8. Noonan, Thomas S., "The Economy of the Volga Bulghars," Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol. 35, No. 1, 1992.

Abbasid-Bulgarian Relations in light of Ibn Fadlan's journey

Dr. Khalifa Ayed Abdullah
College of Education for Human Sciences
University of Mosul

Assist Prof.Dr.AzharHadi Fadhil
College of Education for Human Sciences
University of Mosul

khaleefaayid@uomosul.edu.iq.test-google-a.com

Keywords: Ibn Fadlan, Land of the Bulgars , Khazar Sea, Volga River.

Summary:

The primary research problem centers on elucidating the nature of the historical relations between the Abbasid Caliphate and the Volga Bulgaria Kingdom during the 4th Hijri century (10th century AD). The study investigates whether these relations were merely transient diplomatic contacts or a comprehensive strategic framework encompassing political, religious, and economic dimensions within the Abbasid foreign policy toward Northern peoples.

The research objectives are to uncover the historical roots of this communication and analyze "Ibn Fadlan's Risala" as an official political and proselytizing document. Furthermore, the study aims to highlight the journey's role in establishing an Islamic presence in the Volga region, illustrating how the Caliphate utilized its moral influence and spiritual legitimacy as a tool for expansion instead of military force.

Regarding the results, the study concludes that the relationship was built on organic interdependence and mutual interests; the Bulgars gained political recognition and support for constructing a defensive fortress against the Khazars, while Baghdad strengthened its symbolic presence and secured northern trade routes. The findings confirm that the mission succeeded in institutionalizing Islam in the region through the construction of mosques and the organization of religious rituals. Additionally, the study affirms the supreme source value of Ibn Fadlan's account in providing the first accurate ethnographic and geographical description of Northern peoples in the Arab-Islamic heritage.